النسق الاجتماعي (القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية)

في

ديوان الحماسة لأبي تمام

إعداد

عبير محمود أحمد

باحثة دكتوراه بقسم الدراسات الأدبية

كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

الملخص:

حظيت الثقافة العربية بوجود كثير من القيم والعادات الاجتماعية، وهي قيم عربية أصيلة اهتموا بها وحافظوا عليها؛ فهي تمنح المدح لمن يتصف بها والذم لمن يفتقدها. وفي هذا المبحث تناولت بعضًا من هذه القيم بوصفها تمثل أنساقًا ثقافية متوارثة، وحيث إن النصوص الشعرية تكون محملة بكثير من هذه الأنساق الثقافية الطويلة الموروثة، التي يوجد منها كثير في مختارات الحماسة لأبي تمام؛ ومنها: نسق الكرم والجود، ونسق الجوار، ونسق الترفع عن الصغائر، وهي أنساق أسهم في وجودها طبيعة الحياة وثقافة المجتمع القديم.

الكلمات المفتاحية: القيم – التقاليد - ديوان الحماسة.

Abstract:

Arab culture has enjoyed the presence of many social values and customs, which are authentic Arab values that they cared about and preserved, as they grant praise to those who possess them and blame to those who lack them. In this section, I have dealt with some of these values as representing inherited cultural systems, and since poetic texts are loaded with many of these long inherited cultural systems, many of which are found in Abu Tammam's selections of enthusiasm, including the system of generosity and goodness, the system of neighborliness, and the system of rising above trivialities, which are systems that the nature of life and the culture of ancient society contributed to their existence.

Keywords:

Values - Traditions - Diwan Al-Hamasah

المقدمة

اشتهر العرب قديمًا بكثير من الشيم والصفات الأخلاقية والاجتماعية، التي ميزتهم عبر التّاريخ، وكانت هذه الصفات تمثل إحدى مفاخرهم التي كانوا يتباهون بها ويحرصون عليها، و أنساقًا تمثل ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم.

ومن هذه الأنساق التي اشتهر العرب وحافظوا عليها: نسق الكرم، والجود، والمروءة، والجوار والترفع عن الصغائر. وهذا يرجع إلى طبيعة الحياة العربية في تلك العصور.

لقد حملنى هذا الطرح على اختيار نماذج من مختارات الحماسة تتناول أنساقًا مختلفة منها، ومحاولة استخراج ما بها من أنساق، وتحليلها من خلال منظور النقد الثقافي؛ بوصفه نشاطًا أو ممارسة نقدية يهدف إلى نقد الثقافة، ونصب أهتمام النقد الأدبي بما في النصوص من أبعاد جمالية وبلاغية وبالرغم من كون هذه القيم تحمل معاني متقاربة، وقد لا يوجد بينها فارق إلا خيط رفيع، وهذا ما نحاول التقرب منه في البحث الحالي من خلال عدة محاور.

(1)
الكرم والجود والمروءة

حيث تزخر الثقافة العربية بوجود جميع هذة القيم المستحسنة والصفات الرفيعة؛ ولا سيما الكرم وتقديم الطعام للضيف؛ حيث اقترنت، هذه الشّيم بالمدح لمن يتصف بها، والذم لمن يفقدها، وكانت الضيافة والكرم أهم ما يتنافسون عليه، فكانوا يتباهون بذبح الابل والإطعام؛ بسبب كثرة الأضياف، و"كان الغني بينهم يفضل على الفقير، وكثيرًا ما كان الغني، في سنين القحط ، يطعم عشيرته من إبله ويذبحها قرير العين لضيوفه الذين ينزلون عليه أو تدفعهم الصحراء إليه، ومن سننهم أنهم كانوا يوقدون النار ليلًا على الجبال حتى يهتدي إليها التائهون والضالون في الفيافي "[1].

(1) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، الطبعة الثامنة والعشرون، ص ٦٨.

ويتفق كثير من الباحثين والدارسين على دواعي الكرم لدى الإنسان العربي، بوصفه من أهم القيم والأنساق الخلقية، التي تمثل صورة مثالية للرجل العربي الأصيل.

وكان الشعراء في خطابهم الشعري القديم يمجدون ويشيدون بها، كنوع من الانتماء القبلي؛ ومن ذلك الكرم؛ حيث عبر الشعراء عنه كنسق وقيمة أخلاقية قبلية، له ألفاظ وصور عدة، والمدح بالكرم ذو تأثير في نشر العطاء والجود وتنمية القيم الاجتماعية السامية في النفوس، والشاعر بإدراكه مكارم الأخلاق يستطيع تقديم نموذج للإنسان الأمثل، فيمتزج الشعر والتجربة من خلال الرؤية؛ ليشكل بنية فنية مؤثرة..

وبالنظر إلي النقد الثقافي نجده ينطلق من مسلمات فكرية ومعرفية؛ " للكشف عن حيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة ووسائل خفية، وأهم هذه الحيل الحيلة الجمالية، التي من تحتها يجري تمرير أخطر الأنساق وأشدها تحكمًا فينا "[1].

حيث ينظر النقد الثقافي إلى النصوص الإبداعية نظرة كاشفة لما يحتويه من الأنساق الثقافية الموجودة، التى ترسخت في ثقافة وذائقة الأمة، بصرف النظر عن المعايير الأدبية والفنية والجمالية التى تناولها النص الأدبي0.

إن النقد الثقافي - في كثير من النصوص الشعرية - قد يضع الجود والكرم والمروءة ضمن تأويلات متنوعة متعددة. ولا شك أن البحث عن علل الخطاب يتطلب منهجًا قادرًا على تشريح النصوص؛ لاستخراج الأنساق المضمرة ورصد حركتها"[2].

وهو ما يتطلب بصيرة من الناقد الثقافي أيضًا في التدخل للكشف عن هذه الأنساق، وبالاعتماد في تأويلها على القرائن النصية وسياقات النص وقدرة المتلقي على تذوقه، وحتى لا يصبح النسق الثقافي، بهذا الطرح تأويلًا منفصلًا عن سياقه؛ حيث إن النص حامل للنسق، ولكي نكشف عن الأنساق المنغرسة والمخبوءة خلف الجمالى يجب أن تكون قراءتنا للخطاب الشعري قراءة نسقية ثقافية، ويجب أن نتناوله ضمن نموذج يجعل وجوده في الخطاب الشعري يقينًا؛ لا سيما أن تحليل هذه النماذج تشمل ربطه بسياقه الثقافي والتاريخي، وحتي يمنحه قدرًا من الإقناع والمتعة، وهنا تظهر أهمية القراءة الثقافية التي تسعى إلى قراءة النصوص الأدبية فى ضوء سياقها الثقافي المتنوع.

(1) حفناوي بعلى: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ـــ لبنان، ط1، 2007م، ص 5.

(2) عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، ص 84.

ولما كان ديوان الحماسة يمثل سجلًا تاريخيًّا و أيديولوجيًّا وثقافيًّا مهمًّا؛ حيث عبّرت مختاراته الشعرية عن تغيرات، وتحولات سياسية وفكرية واجتماعية، كما أنه يحتوىّ علي الكثير من الأنساق الثقافية التى تشكل مصدرًا للدراسة عند الكثير من الأدباء والنقاد، فقد وجد العرب في هذة الشيّم شرفًا لهم؛ يقول (إِيَاسِ بنِ الْقَائِف)[1]:

يقيم الرِّجَالِ الْأَغْنِيَاء بأرضهم وَتَرْمِي النَّوَى بالمقترين المراميا[2]

فأكرم أَخَاكَ الدَّهْر ما دمتما معًا كفى بالممات فرقة وتنائيا

إذا زرت أرضًا بعد طول اجتنابها فقدت صديقي والبلاد كما هيا

يحمل نسق الكرم/ الجود في الثقافة العربية تعبيرًا عن المضمر والمخبوء في وعي وعقل الإنسان العربي والمتخفي خلف الجمالية، ونقصد هنا "أن الثقافة تمتلك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مضمرة، وتتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة سميكة، وأهم هذه الأقنعة وأخطرها هو قناع الجمالية أي الخطاب البلاغي الجمالي يخبئ من تحته شيئا آخر غير الجمالية، وليست الجمالية إلا أداة تسويق وتمرير لهذا المخبوء، وتحت كل ما هو جمالي هناك مضمر نسقي" [3].

فحين نتتبع نصوص الشعر نجد ميل الإنسان العربي إلى الكرم المتواصل والمتزايد؛ فنجده يسارع بتقديم الطعام لأهله وعشيرته، فينحر ناقته و إبله وهو قرير العين؛ ليقدمها لضيوفه الذين ينزلون عليه، أو تدفعهم إليه الصحراء، ويكتفي بأن يرد على كرمه هذا بالقول الحسن الذي يبقيه ويخلده، وهو عندما يكرم هذا التائه ويطعمه، ويسقيه، ويحسن صحبته، فإنه يهب له الحياة التي كاد أن يفقدها في الصحراء القاحلة (فأكرم أَخَاكَ الدَّهْر ما دمتما معًا/ كفى بالممات فرقة وتنائيًا)، ويكفى بالموت مفرقًا ومبعدًا، وفي قوله: (إذا زُرتُ أرضا بعد طول اجتنابها) يحمل البيت من التوجع والتشكي من نوائب الدهر.

إن إظهار الكرم والجود والمسارعة في مساعدة كل سائل ومحتاج، من أهم أنساق الثقافة العربية القديمة التي تنبعث من العيش في البوادي، وضرورة التكيف مع البيئة الصحراوية القاحلة.

(1) وردت في المقطوعة رقم (406) من ديوان الحماسة الحماسة، ص 1133.

(2) المرامي: جمع مرمى، وهو المكان لا غير هنا.

(3) سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، ص ٢٩٤.

ولو عدنا إلى المتخيل في الشعر العربي القديم نجد أن الكرم/ الجود / وقري الضيف، قيمة تمثل عصب حياة العرب القدماء الذين يعيشون في الصحراء، ويتباهون بقرى الضيف يقدمونه على أنفسهم، حتى أن العربي القديم كان يفضل ذبح أحد وتقديمه طعامًا لضيفه على أن يقصر في حق الضيف في الكرم والقرى، وشواهد ذلك كثيرة في الشعر العربي القديم، يقول (الراعي النميري)[1]:

عَجبتُ من السارينَ وَالرّيح قُرَّة ... إِلَى ضَوْء نَار بَين فَردَة والرّحَي
إِلَى ضَوء نَارِيَشتَوى الْقدّ أَهْلهَا ... وَقد يُكرَمُ الأضيافُ وَالْقد يشتَوَى
فَلَمَّا أتَوْنَا فاشتَكيْنَا إِلَيْهِمُ ... بَكَوْا وكلا الْحَيَّيْنِ مِمَّا بِهِ بَكَى
بَكَى مُعوز من أَن يُلام وطارقُ ... يشدّ من الْجُوع الْإِزَار على الحَشَا
فألطفتُ عَيْني هَل أرى من سَمِينَة ... ووطنتُ نَفسِي للغرامة والقرى
فأبصرْتهُا كَومّاَء ذَاتَ عَرِيكَةِ ... هجاناً من اللَّائي تمتعْن بالصّوى
فأومأتُ إِيمَاء خفِيا لحَبتَر ... وَللَّه عَينْاَ حبْتر أَيّمَا فَتى
وَقلتُ لَهُ ألصق بأيبس سَاقهَا ... فَإِن يُجْبر العرقُوب لَا يرقأ النّسا
فَأَعْجَبَنِي من حَبتَر أَن حَبْترا ... مضى غير منكُوب ومُنصلُه انتضى
كَأَنِّي وَقد أشبعْتُهُم من سِنَامها ... جلوتُ غِطاء عَن فُؤَادِي فانْجَلَى
فِبتْنا وباتتْ قَدرُنَا ذَاتَ هزةِ ... لنَا قَبلَ مَا فِيهَا شوء ومُصَطَلى
وَأصْبَح راعينا برُيْمة عنْدنَا ... بستّين أنقَتها الأخِلّةْ والَخلَا
فَقُلت لربّ النّاب خُذْهَا ثنّية ... ونابُ عَليَنا مثلُ نابكَ فِي الحَيا

في هذا النص يسرد الشاعر قصة إكرامه للضيوف بذبح الناقة لهم، في ليلة قاحلة شديدة البرد، يشتكي فيها الضيف من شدة الجوع، ويشتكي فيها المضيف من شدة الفقر والفاقة والحاجة، وفي الجملة النسقية (بكى معوز من أن يلام) تعبير عن ملمح مهم من ثقافة العرب وعقليتهم، التي ترى في عدم إكرام الضيف، وعدم القدرة على القيام بواجبات الضيافة، هي أكثر ما يعيب الرجل، ويشينه؛ حيث يعد التقصير عن قِراه نوعًا من المذمة، ومثلبة ينفر منها الطبع العربي، ويجلب له العار، والتشهير.

(1) الراعى النميري :اسمه عبيد بن حصين بن معاوية النمرى : وسمي بذلك لأنه وصف الإبل في شعره . وهجاه جريروجاء في الاشتقاق ١٧٩ والشعروالشعراء ٣٧٧ – ٣٨١، وردت فى المقطوعة رقم (637) من ديوان الحماسة: صـ 1501.

ولما كانت القراءة الصحيحة "هي القراءة المفتوحة التي تسمح بتدفق ملاحظات المتلقي الموجهة إلى النص، وذلك عكس القراءة المغلقة "[1]، وعن طريقها تتدفق المعاني في أفق المتلقي؛ يقول (آخر)[2]:

ومُسْتَبِح قَالَ الصَّدَى مثل قوله حَضَـأْتُ لَهُ نَارًا لها حَطَبٌ جَزْلُ [3]
فقمت إليه مُســـــْرِعًا فَغَنِمْتُه مَخافة قومي أن يفوزوا به قبلُ
فَأَوْسَعَنِي حَمْداً وأوسعته قـرى وأرخص بحمد كان كاسبه الأكلُ

وبالقراءة الثقافية للنص نجد إشـارة إلى هذا الضـيف الذي ضـره الزمان في سفره، ولم يساعده الحال فيه على وجود قوته، إلا وجود إنسان عربي أصيل، يحسن استقبال ضيوفه ويقوم بإشعال النيران فوق ربوة عالية ليهتدي بها الأضياف. وهذا بحد ذاته إشـارة لرفعة مقام مُشـعلها وجوده؛ لأنه يسـارع في عجالة لأكرام هذا الضـيف وخدمته قبل أن يقوم بها غيرهم (مَخافة قومي أن يفوزوا به قبل)، وفي البيت الثالث يسترسـل الشـاعر حديثه فيقول (فَأَوْسَـعَنِي حَمْداً وأوسـعته قرى)، وهم بفعلهم هذا ينالون رضا الضيف وإطراءه، وتزكيته، مشيرًا بهذا التعبير إلى أن العرب كانوا يدفعون كل ما لديهم في سبيل حمد الناس ونيل رضاهم والوصول للمكانة العالية، وهو غاية ما يأملون إليه فكانوا يكثرون له القرى محتفلين ومتكثرين بنوع من الجود والكرم، وفي ثقافة العربي الأصيل أنه يحب ألا يوضع في موضع الذم والهجاء؛ و إنما يحب أن يكون دائمًا في موضع المدح والفخروالشكر من قبل الناس، فإنه عندما يقري الضيف يشتري الحمد والثناء بإطعامه للطعام وهي بالنسـبة له تجاره رابحة ومكسـب، وفي الأمثال العربية القديمة يدل المثل على ذلك (أقرى من مطاعيم الريح)[4] كاشارة إلى هذا الجود والكرم الشديد.

وبذلك يظهر الجود في أعلى منازل البذل والعطاء، وفي صـورة العطاء يتجلي الجدل الفريد بين السائل والمسؤول؛ وهي صورة لا تكشف عن حاجة السائل فقط بمقدار ما تكشـف عن حاجة المسـؤول إلى السـائل؛ فالكرم فعل يجابه العدم، وتظهر المفارقة بين (الذات) التي تعطي وفي ذات الوقت تأخذ، وكذلك (الآخر) الذي يأخذ؛

(1) محمد عبد المطلب: القراءة الثقافية، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2013م، ص 139.
(2) وردت المقطوعة تحت رقم (676) من ديوان الحماسة، ص 1569.
(3) مستنبح: من النباح، وهو تقليد صوت الكلب.. حضأ النار: أوقدها بغليظ الحطب.
(4) ينظر: الميداني: مجمع الأمثال، 127/2

فالعربي يجود ويكرم؛ من أجل مقاومة الموت والهلاك؛ سواء بالنسبة للشخص الذي يقدم المكارم أو الشخص الذي يتلقى العطاء؛ ومن ثَمّ فقد افتخر به الأبطال، وامتدح بها الشعراء ممدوحيهم، ونجد الممدوح مهما يُعطي، ويبالغ في الإسراف والعطاء؛ تكون غايته أكبر من العطية ومما يُعْطَى.

والمؤشران البارزان للضيافة والاستعداد لها في الثقافة العربية هما: (نباح الكلب/ وقوة النار)، وهما مما يمتدح به الإنسان العربي القديم؛ "فمن سنهم أنهم كانوا يوقدون النار ليلًا على الكسبان والجبال، ليهتدي بها التائهون والضالون في الفيافي، فإذا وفدوا عليهم أمنوهم حتى لو كانوا من عدوهم، ويدور في شعرهم الفخر بهذه النيران وأن كلابهم لا تنبح ضيوفهم لما تعودت من كثرة الغادين والرائحين"[1]، فحين تتوقف الكلاب عن النباح نجد من ضلّ طريقه في الصحراء (الضيف /الطارق) يستنفر كلاب المقري ويقلد صوت نباحها، وحين تجيبه الكلاب يهتدي طريقه إلى ضيفه؛ يقول (حماس بن ثامل)[2]:

وَمُسْتَنْبِحْ فِي لُجَّ لَيْلٍ دَعَوْتُهُ بمشبوبة في رأس صمد مقابل[3]

فقُلتُ له أَقْبِلْ فَإِنَّكَ راشد وإِنَّ عَلَى النَّارِ النَّدَى و ابن ثائل

وبعد شيء من التأمل يجد القارئ أن الأبيات تضمر أن الضيافة تشكل مظهرًا من مظاهر السيادة، ورمزًا للخير والعطاء، وفي قوله (فقلتُ له أقبل فإنَّكَ راشد) دلالة على أنه أصبح في مأمن؛ وبذلك قوَّيْتُ نفسه في النزول، لما رأى النار مشتعلة على مكان مرتفع، وكأنه دعي بها الضيف لما أعلاها حتى اهتدى بها، وارتفاع النار هذا بحد ذاته يشير إلى رفعة مقام مُشعلها وكرمه، وكأنه يشبه العَلم الذي في رأسه نار، يضاف إلى ذلك أنه رأى استبشار المضيف و انتظاره إيَّاه بطلاقة الوجه وطيب اللقاء ليكرمه، والمعروف أن الكرماء لا يسعون إلي الناس بأموالهم بمقدار ما يسهم بسط الوجه في ذلك، وفي هذا نشير إلي بيت شهير لـ (زهير)[4]:

(1) شوقي ضيف: الأدب الجاهلي، ص 68.

(2) حِماس بن ثامل: بن الشمردل بن تميم بن منقذ بن أعيا، ويسمى الحارث بن طريف بن عمرو بن الحارث بن ثعلبة، له كثير من الشعر كان جده الشمردل مذكورًا بحسن الشعر- وردت في المقطوعة رقم (748) من ديوان الحماسة، ص 1695. 1696.

(3) المشبوبة: النار، ولج الليل: معظم ظلمته، والصمد: الجبل أو الأرض المرتفعة.

4 زهير بن أبي سُلْمى: بن ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن من قبيلة مزينة، وهو من أحد أشهر شعراء

تَرَاه إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُه

ويتضح مدى التفاعل بين الضيف والمضيف كشكل من أشكال التلاقي، والتعبير عن الرغبة في الاستمرار، والتي يستطيع من خلالها المانح (الضيف) مداومة الذكر للمضيف ومدحه، والمجتمع الجاهلي كان يعزز الجود كنسق له قيمة في الحياة الاجتماعية وفي علاقات الأفراد ببعضهم البعض، ومن ذلك ما ورد من مقطوعة حماسية؛ يقول (آخر)[1]:

عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيلِ بعد اعتسافه لَيَنْبَحَ كَلْبٌ أَو لِيَفْزَعَ نومُ[2]

فجَاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوتِ للقِرَى لَهُ مَعَ إِنيَانِ المُهبينَ مطعمُ[3]

يكاد إذا ما أبصر الضيف مُقْبِلًا يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وهو أعْجَمُ

ومن ينظر في نشأة الخطاب الشعري يتبين كيف كان العربي يفخر بأن ذلك خدمة جليلة أوجبتها عليه الظروف، وثقافة المجتمع تجاه التائهين والمسافرين الذين ضلوا الطريق؛ فهو إذا سمع نباح الكلاب أدرك أن هناك ضيفًا تائهًا في الليل، ومع قوله: (لَيَنْبَحَ كَلْبٌ) فكل استنباح يتطلب تفاعلًا وردًّا من الكلب الذي يقوم بدور (الوسيط)، الذي يعي تمامًا طبيعة عمله، ويقوم بمقتضياتها بهذه العملية؛ فهو وسيط يكاد إذا ما أبصر الضيف يكلمه حبًّا له؛ لذلك قالوا: حبيب إلى كلب الكريم، وفي المثل العربي: (أحب أهل الكلب إليه الطاعن)[4]، فإذا أقبل الصيف يسارع (لِيَفْزَعَ نُومُ)؛ لأنهم إذا انتهوا لصوته أجابوه مسرعين بجودهم وكرمهم فيوقدن لهم النار ليهتدوا بها،

العرب، وأحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء (امرؤ القيس، وزُهير بن أبي سُلْمى، والنابغة الذبياني)، وتوفي قبيل بعثة النبي محمد، ورث الشعر عن أبيه وخاله وزوج أمه أوس بن حجر، وله أختان؛ هما: الخنساء، وسلمى، وكانتا أيضًا شاعرتين، وأورث زهير شاعريته لابنيه كعب وبجير، والكثير من أحفاده، و اتفقوا على أنّ زهيرًا صاحب (أمدح بيت، وأصدق بيت، و أبين بيت).

(1) هو إبراهيم بن هرمة . جاءت في البيان (٣ : ٢٠٠) . والأبيات بدون نسب في الحيوان (٣٧٨ - ٣٧٧ : وردت في المقطوعة رقم (683) من ديوان الحماسة: صـ 1580 تحت عنوان قال آخر

(2)عَوَى: أى نبح وصاح وفي المثل السائر: (لَوْلكَ عوَيْتُ لم أخو) . وأصله المستنبح أجابه الذئب عوى ، تشبيها له بالكلب و إزراء به، والاعتساف : الأخذ في الطريق على غير هداية

(3) بمستمع الصوت : الكلب - والمهبون : الأضياف الموقظون

(4) ينظر: الميداني: مجمع الأمثال ١/٢٠١، وجمهرة الأمثال ٢/١٣٦، ١٦٥. في الأمثال: (أحب أهل الكلب إليه الظاعن).

ويشعرونهم بالأمن والأمان وهو كما قال: (مع أنيان المهبين مطعم) والي تحمل دلالة سعة عيش الكلب فيما يُنْحَرُ للضيف.

ويتطلب الحديث عن الكرم والجود في الثقافة العربية – بطبيعة الحال - معايشة الحدث بكل ما يحتويه من دلالات مختلفة؛ يقول (مسكين الدارمي)[1]:

كَـأَنَّ قُـدُورَ قَـوْمِـي كُـلَّ يَـومٍ قِبَابُ التَّرْكِ مُلْبَسَةَ الجِـــــلَالِ

كـان المـوفـديـن لـهـا جـمـال طَلَاهَا الزَّفْتَ والقَطِرانَ طَـالِ [2]

بأيديهم مَغَـــــارِفُ مِنْ حديـد أشبهها مُقَيَّرَة الدَّوالِـــــي

ويتطلب ذلك تناوله من وجهة نظر المجتمع؛ بمعني كما يراها المجتمع في زمانٍ ومكان ومحدَّدَيْن، ويرجع ذلك لأهمية الجود /الكرم في مساعدة المحتاج وتقوية الأواصر والروابط الاجتماعية للمجتمع، وبما له من وظيفة الاجتماعية تتمثل في مساعدة المحتاج واستنقاذ الأرواح؛ فهما حبل النجاة والإنقاذ للكثير من المسافرين والراحلين في الصحراء. وفي النص الشعرى دلالات جمالية من التشبيه والكناية وغيره، وفي قوله:(كَأَنَّ قُدُورَقَوْمِي / بأيديهم مَغَارِفُ مِنْ حديد) إشارة من الشاعر إلى تجذروجود هذا النسق في قومه؛ وذلك بحكم الثقافة الموروثة؛ فالنسق هنا عام يتحكم في الجميع؛ فنجده مثلًا قد جعل (قدور قومه)، وهي كبيرة جدًّا حتي أنها تكفي إطعام الوافدين إليها، وتبتلع داخل عظمها أعضاء الجزوروالعراعر الضخم السمين، ومن شدة اتساعها فهي في حاجة لمغارف قوية صلبة تتحمل الصب (بأيديهم مغارف من حديد)، ومن الجملة الخبرية (طَلَاهَا الزَّفْتَ والقَطِرانَ) يظهر النسق الثقافي المتمثل في شدة الجود والكرم الناتج عن كثرة الطبخ؛ فقد جللت القدوروألبُست أغطية سوداء تشبه الزفت والقطران، وبسبب سواد القدوروالنارنجد تأثيرلذلك أن المغارف أيضًا قد أصبحت سودًا؛ نتيجة ما علق بها من زهومة اللحم والشحم، حتى أن المزاولين لها في وطبخها وتهيئتها ونصبها و إنزالها، اتسخت ثيابهم، وتدنست، وتلطخت بالسواد والقطران.

والكرم والجود نسق اجتماعي وقيمة مهمة، وهي تعني أن يتصف الشخص بمجموعة من الصفات الحسنة، التي تظهر مقترنة بقيم مثل: الكرم، والوفاء بالعهود،

(1) سبقت ترجمته في الحماسية ٣٩٩، ص ١١١٠.

(2) ويروها التبريزي: (كأن الموقدين لها ، بالقاف:) من قولك : أوقد النارتحت االقدر،

والشجاعة، ومن المروءة: الحلم، والصبر، ويرى (يوسف خليف) أن الشاعر "يفتخر بقبيلته، فيذكر امتيازها العنصري، وشرف نسبها وحسبها، وأصالة ماضيها، وكرم نجارها ويشيد بمكانتها بين القبائل وحرصها على اجتناب الذام، وتمسكها بالمثل العليا التي يقدسها مجتمعه المروءة، النجدة والشجاعة، والكرم، والفصاحة، وما إلى ذلك"[1].

وباعتبار أن الشعر وسيلة الثقافة لتمرير أنساقها وغرسها واستدامتها؛ "لأن الشعر هو خطاب العرب الأول، وهو ديوانهم وسجل ذاكراتهم"[2]؛ فقد سعي الخطاب الشعري العربي القديم إلى إظهار هذا النسق، فتغني بها الأدباء والشعراء على مر الزمان، ويعكس النص (المروءة) كملمح من ملامح الثقافة، ومن ذلك قول شاعر (من بني قريع)(3):

مَتى مَا ير النَّاس الْغَنِيّ وجاره فَقيرَيَقُولُوا عَاجزوجليد
وَلَيْسَ الْغنى والفقر من حِيلَة الْفَتى وَلَكِن أحاظ قسمت وجدود
إِذا الْمَرْء أعيته الْمُرُوءَة ناشئا فمطلبها كهلا عَلَيْهِ شَدِيد
وكائن رَأينَا من غَنِي مذمم وصعلوك قوم مَاتَ وَهُوَ حميد

ونجد في التراث العربي القديم عامة وفي مختارات الحماسة خاصة كمًّا موازيًا من النصوص التي تشير إلي المروءة كنسق وقيمة اجتماعية مستحبة، وفي المقابل نجد الإشارة إلى صفة من أكثر الصفات التي يكرهها العربي، ويهجو صاحبها؛ حيث الإنسان لئيم الطباع، الذي لا يتصف بالمروءة، والشهامة؛ ومن ثم فالشاعر يتناول الحديث عن الرجل الغني الموسر الذي يتخلى عن جاره الفقير ذي الفقر والحاجة؛ ومن ثم فهو يعرّض بهذا الرجل، ويصفه بأنه (أعيته الْمُرُوءَة ناشئا)؛ أي: لم يتخلق قط بصفة المروءة والكرم ونجدة الفقير وعون المحتاج؛ ولذا فإن هذا الرجل الغني اللئيم لا يمكن له أن يكون يومًا ذا مروءة؛ لأن (مطلبها كهلا عَلَيْهِ شَدِيد)؛ أي: أن نفسه لا تطيق المروءة، وما يستلزمها من إعطاء السائلين ومعاونة المحتاجين.

لقد عبر النص عن نسق المروءة، والقراءة الثقافية تكشف أن هذه الصفة أساسية في وجدان العرب ووعيهم؛ لـ "كون النص الأدبي حادثة ثقافية لا يمكن أن

(1) يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة. مصر، ط1.

(2) عبد الله الغذامي ، وعبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص 64.

(3) وردت المقطوعة تحت رقم (415) من ديوان الحماسة، ص 1148 وما بعدها.

نقرأها بمعزل عن سـياقاتها الخارجية التي خلفتها "[1]؛ يتضـح ذلك من خلال البيت الأخير:

وكائن رَأينَا من غَنِي مذمـــم وصعلوك قوم مَاتَ وَهُوَ حميد

حيث تكمن المفارقة بين صـورة الرجل الغني ذي الوجاهة الاجتماعية، وبرغم ذلك فهو مرذول مذموم في المجتمع بسـبب لؤمه، في حين أن الرجل الفقير(الصـعلوك) يكون محمودًا، يحمده الناس بسبب مروءته.

(1) عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، ص 78.

(2)
نسق الجـــوار

يُعد أحد أنســـاق القيم المهمة التي افتخر بها الشـــعراء. ويرجع وجوده إلى طبيعة الحياة العربية ونظرة الثقافة والمجتمع إلى الضيافة بوصفها أحد الطباع الأصيلة التي يتميز بها العرب عن غيرهم من الشـــعوب، تجاه الضـــيف الوافد من مكان بعيد، وإذا وجد الضيف توجب له من الحقوق: حسن الاستقبال، وحق الترفيه، وتوفير الحماية، والأمان؛ فمن يدخل عليهم ديارهم يضمن سلامة نفسه، حتى لو كان عدوًا ما دام في بيت المضيف أو داخله؛ لا سيما إذا أكل أو شرب فهو آمن.

ومن ثم، فإن هناك ترابطًا بين القيم العربية، "ومن هذه الخصـــال إجارة المضـــعوف وإغاثة الملهوف، والوفاء، والأمانة، والعفة، فقد فخر حجر بن خالد بقومه بني ثعلبة؛ لأنهم ينشـــرون ظلال الأمن على من يســـتجير بهم، ولا يغدرون بالعهد الذي يقطعونه على أنفســـهم، وكيف لا يفخر بهم وهو يرى القبائل الأخرى عاجزة عن حماية المســـتجيرين"(1)؛ حيث يكون لها قدرًا وافرًا من الاهتمام بوصـــفها موروثات عربية أصيلة من تقاليد العرب وأعرافهم الاجتماعية، الذين يعظمون حق الجار، ويحترمون الجوار؛ حيث شـــاع في البيئة العربية الفخر، والثناء، والتمدح بحماية الجار، واحترام مكانته؛ لأنه عندما يعز جاره ويقوى سنده بجيرته، ففي هذا اعتراف شامل بقوة المجير، وهيبته في المجتمع، الذي يقدر القوة والهيبة.

ومن ثم أشادوا بحماية الجار؛ لأنه استجاربهم وأعطوه عهدًا أن ينصروه، وهذا ما جعلهم يعظمون الأحلاف فلا ينقضـــونها مهما قاســـوا بســـببها من حروب، وبلغ من اعتدادهم بهذه الخصـلة أن كانوا يرفعون لمن يغدر منهم لواء في مجامعهم وأســـواقهم، حتى يلحقوا به عار الأبد. "وليس هناك خلة تؤكد معنى العزة والكرامة إلا تمدحوا بها،

(1) غازي طليمات، عرفان الأشـقر: الأدب الجاهلي: قضـاياه، أغراضـه، وأعلامه، وفنونه، دار الإرشـاد بحمص، دمشق، ط1، 1992، صـ154.

فهم يتمدحون إغاثة الملهوف وحماية الضعيف والعفو عند المقدرة، كما يتمدحون بالأنفة، و إباء الضيم، وكيف يقبلون الضيم، وهم أهل حرب وجلاد"[1].

وقديمًا عاب امرؤ القيس على بعض القبائل، ورماهم بالتفريط بالحقوق وتضييع حق الجار:

ألا قبح الله البراجم كلها وجدع يربوعاً وعقر دارما

و آثر بالملحاة آل مجاشع رقاب إماء يقتنين المفارما

فما قاتلوا عن ربهم وربيبهم ولا آذنوا جاراً فيظعن سالما[2]

وتظهر هناك عصبية (الجوار)؛ حيث "يرتبط بالإجارة والإغاثة وفاء القبيلة وأمانتها؛ لأن آية الإجارة القدرة على كف الأذى عن المولى، والنية الصادقة على تنفيذ الكلمة المقطوعة"(3).

فإذا تم الاعتداء على إحدى هذه القبائل، هبت القبائل الأخرى المتحالفة معها إلى نصرتها، وكان من عادة العرب أنه عندما يطلب شخص الجوار من الآخر يجعله في حمايته ليرد عنه الظلم والعدوان، ويعلن على ملأ الناس ليكونوا على بينة من أمره، ويصبح المستجير في ذمته وجواره، يتواجب، ويتمتع بحمايته، ويصبح المُجير بفضل هذه العصبية من عشيرة وقبيلة المستجير الذي أصبح جارًا لهم.

ولما كان الشعر يأتي بأغراض متنوعة: اجتماعية، ودينية، وسياسية، مغلفة بالأعراف والتقاليد، وهي لا تعطي شكًّا أن هذه النصوص الشعرية تكون محملة بكثير من الأنساق الثقافية الطويلة الموروثة، وكان استخراج النسق يحتاج قراءة واعية من القارئ للنصوص حتي تقرأ قراءة ثقافية صحيحة؛ يقول (آخر) (4):

و إنا لمشّاؤون بَيْنَ رِحالِنا إلى الضّيف منّا لاِحفُ ومُنيم

فذُو الحِلمِ منّا جاهلُ دون ضَيفِهِ وذو الجهل مِنَّا عَنْ أَذَاهُ حَلِيمُ

(1) شوقي ضيف: الأدب الجاهلي، صـ69.

(2) ديوان امرؤ القيس ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ،ط1 ،2008م0

الجدع : القطع وقد تحمل معنى الاذلال عفر: مرغه بالتراب أثر بالملحاة خص بالشتم. المفارم خرق تحملها النساء في فروجها لحيض أو غيره .

(3) غازي طليمات، عرفان الأشقر: الأدب الجاهلي: قضاياه، أغراضه، وأعلامه، وفنونه، دار الإرشاد بحمص، دمشق، ط1، 1992، ص 154.

(4) وردت في المقطوعة رقم (681) من ديوان الحماسة، ص 1577.

والنسق في هذه الأبيات يشير إلى (الجوار) كقيمة عربية أصيلة وشيمة من شيم العرب التي اشتهروا بها وحافظوا عليها، وبداخل مفهوم الضيافة يتماهي جدل بين طرفي الضيافة (الأنا / والآخر) فالآخر صاحب الحق وهو الضيف / السيد المخدوم ، أما الأنا فهو "المضيف"، ويتحول إلى خادم ويتوجب عليه توفير كل سبل الاستضافة؛ وبذلك يمكن أن نرد الحرص على أكرم الضيف وخدمته إلى الجدل بين (الذات / والآخر) وليس فقط أكرم الجوار في هذه البيئة.

وهو في قوله (إنا لمشاؤون بين رحالنا) جعل من كلماته أمرًا يستطيع المتلقي فهمه؛ فقد كان العرب يتباهون بمن يطلب حمايتهم، ويلوذ إليهم، وكانوا يوفرون الحماية لمن لجأ إليهم بغض النظر أكان بريئًا أم مخطئًا، حتى وإن جلب لهم المشاكل؛ فحماية الجار، وعزته، و أبعاد المخاوف عنه هي الأساس، أما التخلي عن حماية الضعيف فتجلب العار والهوان والمذلة، وهو شيء لا يقبله العربي الأصيل. وقد حث الإسلام علي حق الجار، وإكرامه، والاهتمام به وترسيخ الإيمان به كقيمة اجتماعية في المجتمع، وظهر ذلك واضحًا فيما نص عليه الرسول في أول عهد كتبه بين المهاجرين وأهل المدينة.

ونجد دليل الإبانة عن اقتراب المحطة من رحالهم ومقارهم، وأن الأمر أصبح عالمًا بذاته مع جملة (إنا لمشاؤون/ منا لاحف ومنيم)، ويتطلب ذلك الحرص والسعي إلى الضيف، وحسن خدمتهم، والالتزام بآداب الضيافة قبل سؤاله أو طلبه للضيافة.

وفي خطاب (الأقرع بن معاذ) (1) يرسم الشاعر صورة واضحة تتحدث عن الذات / والفخر بفضائل القبيلة وقوتها وكرمها؛ يقول الشاعر:

إنّ لنا صِرْمةٌ تُلْفَى مُحَبَّسَةٌ فيها مَعاذُ وفي أربابها كَرَمُ[2]
نُسَلِّفُ الجار شرباً وهي حائمةُ ولا تَبيتُ على أعناقِها قَسَمُ
ولا تُسَقّه عِنْدَ الْحَوْضِ عَطْشَتُهَا أَحْلَامَنَا وشرِيب السَّوْءِ يَحْتَدِمُ

(1) الأقرع بن مُعَاذ القُشَيْري شاعرٌ أُمَويّ إسْلامِيّ، أدركَ الدولةَ العَباسيَّة. الأشيم بن معاذ بن سنان بن عبد الله بن حزن بن سلمة بن قشير، كان في أيام هشام بن عبد الملك. المرزباني ٣٨٠. ورد عنه في كتاب معجم الشعراء العرب: أنه لقب بالأقرع لقول منه هجاء بني معاوية بن قشير، ولم تذكر المصادر عن حياته الكثير، إلا من خلال شعره. - له شعر جيد - وردت في المقطوعة رقم (768) من ديوان الحماسة، ص 1728.

(2)الصرمة من الْإِبِل نَحْو الْأَرْبَعين والمخيسة الَّتِي لم تسرح وَلكنهَا حبست للنحر أَو الْقسم- حائمة الحائمة: العطاش ، هو يحوم حول الماء. والاحتدام: شدة الإحماء

وهو ما تجلي من جمالية النص الأدبي، ومنها الجمل الخبرية (إن لنا صِـرْمةٌ تُلْفَى مُحَبَّسَةٌ / في أربابها كرم)، التي تؤكد أنهم من شدة كرمهم لهم إبِل حول بيوتهم محبوسة فقط من أجل النحر، أَو الْقسم للأضياف، وهم في كل مرة يعودون ويصيبون مِنْهَا مرّة بعد أُخْرَى، وفي كل مرة يجدون كرماً من أَصْحَابهَا.

وحيث إن السّمة التي "طبعت أغلب الدّراسات التي تناولته بالتحليل تركيزها على الدلالات الصـرّيحة، التي تعتري الخطاب الشّـعرى، في حين ظلّت مضـمرات قابعة في منطقة الظّل تعمل فعلها بعيدًا عن عيون النقد الأدبي، متخفيّة وراء جماليات الصّـور البلاغية والأساليب البديعية"[1]. فـ (الفخر/ والكرم) هو النسق الظاهر في النص.

وندرك من ذلك أن هذا النسـق الظاهر يخفى وراءه نسـقًا ثقافيًّا آخر غاية في الأهمية؛ هو (نسـق الجوار) الذي يفخر به العرب، ويعظمون حقه، ويؤثرونه علي أنفسـهم، ويعتزون بثناء الجار عليهم، وبين الإثبات / والنفي في قول الشـاعر (نسـلف الجار/ ولا تبيتُ/ ولا تُسَفَهُ) تأكيد وتوضيح للمعنى بأنهم قوم يقدمون الجار على أنفسنا عند سـقي الإبل؛ حتى وإن كانت إبلهم عطشـى، فإنهم يجعل الزيادة على نصـيب هذا الجار، ويؤمنون ويقسمون علي ذلك، كقوله: (ولا تبيت على أعناقها)، وهَذِه الْإِبِل تروي الْجَار من لَبنهَا، وَهِي عطاش وَلَا توهب وَإِلَّا نقسـم عَلَيْهَا بعدم النحر وهو بذلك يؤكد العلل، والمعاذير عند المنع، والبخل.

وهذا الخطاب يحتوي على كل سـمات القيم والتصـورات الثقافية التي ترتبط وتتفق مع نظرة الثقافة العربية والمجتمع العربي إلى الجار، وما له من حق يجب أن يكرم ويُحمى بالقوة؛ حيث إن الحديث عن إكرامه وحمايته مدعاة للفخر والشـرف؛ لذا كان النسـق أكثر وضـوحًا، وبسـبب رفعة هذا النسـق ألحقه الشـعراء بقبائلهم كواحد من الأنساق والفضائل السامية التي يتميز بها العربي.

(1) فريال بن جدو: النسـق المضـمر في قصـيدة المدح: قراءة في كافوريات المتنبي، مجلة اللغة العربية، العدد 4، 2022م، ص 332.

(3)

نسق الترفع عن الصغائر

ولما كان العربي في ثقافته يعتد بجميع الصفات والشمائل الحميدة التي تكرّم المرء في المجتمع، وتجعل له مكانة عظيمة بين الناس؛ ومن ثم يتبين لنا من خلال نصوص الشعر أن الإنسان العربي كان دائم الحفاظ على ارتباط سمعته وسيرته بالأفعال والأقوال والصفات التي تأتي له بالمدح والثناء، ويبتعد عن كل ما يجلب له الذم والهجاء بين الناس، وفي كثير من أشعار وقصائد ديوان الحماسة نجد هذا الملمح الثقافي شاخصًا، ومن ذلك قول الشاعر (سعد بن ناشب بن مازن)[1]:

سأغسل عني الْعَارَ بِالسَّيْفِ جالبا عَلَيّ قَضَاء الله مَا كَانَ جالبًا
سأغسل عني الْعَارَ بِالسَّيْفِ جالبا لعرضي من بَاقِي المذمة حاجبًا
ويصغر فِي عَيْني تلادي إِذا انْثَنَتْ يَمِيني بِإِدْرَاك الَّذِي كنت طَالبًا
فَإِن تهدموا بالغدر دَاري فَإِنَّهَا تراث كريم لَا يُبَالِي العو اقبًا

ولما كانت القراءة الصحيحة للنص، تتطلب من المتلقي أن يكون لديه ذهن فارغ تمامًا عند القراءة، يضاف إلى ذلك أن "يمتلك ذاكرة ثقافية حية ونشطة، وأن يمتلك وعياً ثقافيًا عميقًا، وهذا لا يعني أن يقبل مستحضرًا أنساقًا بعينها يبحث عن صداها في النص، ليحمله بأوزارها طوعًا وكرهًا"[2]، نجد أن الشاعر- وفق النسق الثقافي السائد - يرى أن الصفات السلبية والتخلق بالأخلاق غير الحميد تأتيه بالعار والمذمة بين الناس، ومن تلك الصفات الفرار من الأعداء والجبن عن مواجهتهم بالسيف؛ وبذلك تتأكد مكانة الذات، "وهذا شرط نسقي جوهري، فالذات المتشعرنة لا مجال عندها للتعايش الحر مع أي طرف آخر، وكل ما هو آخر هو بالضرورة النسقية خصم وعدو لا بد من حفظه دائمًا في حالة خوف مستمرة، وتهديده وتوعده"[3].

(1) وردت في المقطوعة رقم (10) من ديوان الحماسة، ص67.
(2) محمد عبد المطلب: القراءة الثقافية، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2013م، ص21.
(3) عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، ص 178 وما بعدها.

وفي الجملة الخبرية (سأغسل عني العار بالسيف) تصوير للسيف بأنه كالماء الطاهر الطهور الذي يزيل عن الشاعر العار الذي يشبه الأوساخ والأدران التي تصيب جسده وكيانه في المجتمع.

ومن خلال قراءة شعر الحماسة، وعن طريق ربط النص بمبدعه وثقافة البيئة التي ظهر فيها، ربما يكون ذلك سببًا يساعد على انفتاحه، ويعين المتلقي على فهمه؛ فإن كان النص الأدبي على "مستوى السطح هو علاقة جمالية، لكنه على مستوى الباطن تتداخل فيه سياقات ثقافية مختلفة تفتح دلالاته على الكائن والمحتمل، وتستدعي المراجع الدلالية المختلفة الغائرة في التاريخ والوجدان واللاشعور"[1].

نجد العرب ينأون بأنفسهم عن كل ما يجلب المذمة والهجاء؛ فيبتعدون عن كل ما يحط من قدرهم، ويدني منزلتهم، وشواهد هذا النسق كثيرة ومتواترة، مثل (قول بعضهم) [2]:

وَأعْرض عَن مطاعم قد أَرَاهَا فأتركها وَفِي بَطْني انطِواءَ
فَلَا وَ أَبِيكَ مَا فِي الْعَيْش خيرُ وَلَا الدُّنْيَا إِذا ذَهبَ الْحيَاء

من خلال قراءة الأبيات يتبين لنا ملامح ثقافة العرب وشمائلهم وخصالهم التي تجذرت في أنفسهم؛ حيث الكرم والكرامة والشموخ والإباء وعزة النفس، وفي النص تمثيل لتلك الخلال والخصال، من خلال صورة العربي الأبي الذي يترفع عن الطعام الذي يشوبه الدنية والانتقاص من شرف الشاعر وكرامته؛ ومن ثم فهو يترك هذه المائدة ويعرض عن هذا الطعام برغم جوعه الذي يظهر مع قوله (وَفِي بَطْني انطواء)؛ حيث التعبير عن شدة الحاجة للطعام، وضمور البطن من شدة الجوع، وبرغم ذلك فهو يعرض عن الأكل؛ حفاظًا على حيائه وعزة نفسه.

ومن الأمور التي نشير إليها أن النص قد خُتِم ببيت شاع بين الناس وتوارثه العرب منذ القدم، وهو قوله: (يعِيش الْمَرْء مَا استحيا بِخَير/ وَيبقى الْعود مَا بَقِي اللحاء)؛ ما يدل على استحسان الثقافة العربية لهذا البيت وقبولهم للخطاب الشعري المتضمن فيه، وفي خطاب آخر في الحماسة تظهر هذه القيمة النسقية الثقافية؛ يقول آخر[3]:

(1) حسين بوحسون: نسق الفحولة في رواية وادي الخبا جميلة طلباوى، مجلة الاستهلال، ص 185.

2 وردت في المقطوعة رقم (424) من ديوان الحماسة، ص 1162.

(3) المؤمل بن أميل بن أسد المحربي: من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان، كوفي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وكان ذا شهرة في العصر العباسي؛ لأنه كان من الجنود المرتزقة، شاعر مجيد دون

وكم من لئيم ود أنى شـــتَمْتُـه وإنْ كانَ شَـتْمِي فِيهِ صَـابٌ وَعَلْقَمُ
وللكف عَنْ شَم اللئيم تكرمًـــا أَضَرُّلَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يُشْـتَمُ [1]

والمعلوم أن الإنسان العربي دائمًا ما يبعد نفسه عن المقابح مخافة الهجاء والذم وجلب النقيصـــة والمعرة؛ ولاســيما إن كان يتعامل مع الشـخص اللئيم، الذي لا يقابل الإحسـان بالإحسـان، والطريقة المثلى لمواجهة هذا النوع من البشر هو التجاهل، والترفع عن ما يفعله من تلك الصـغائر، وعدم الاكتراث بوجوده وفعله، والعزوف عن شـتمه أو سـبه يكون أشـد ألمًا و أثرًا في نفس اللئيم، وفي الجملة النسـقية (وللكف عَنْ شَـم اللئيم تكرمًا) تصـــوير لهذا الخلق والمعني الذي عرفه العرب قديمًا وحثوا عليه، وهو نوع من أنواع الكرم؛ هو الكف عن مشاتمة اللئام؛ فهو أصون العرض، ومثال ذلك قول الرومي في المعنى:

وما عفوي لشيء غير أني أرى لحم اللئيم أغث لحم

وكذلك البيت المشهور للمتنبي:

إن أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

الفحول، توفي ســنة ١٩٠ هـــ، وردت في الأغاني (19: ١٤٧)، وفي معجم الأدباء (٧: ١٩٥ مرجليوث)، وفي الخزانة (3: ٥٢٣)، وفي سمط اللآلي ٥٢٤، وردت في المقطوعة رقم (412) من ديوان الحماسة، ص 1144.

(1) اللئيم : الذي تجتمع فيه الخصال المذمومة في نفسه و أبويه ، والعلقم : الحنظل- المرارة ، والصَّاب : شجرة لها لبن فإذا أصاب العين حليها 0

الخاتمة

في ختام هذا البحث نستخلص أن الثقافة الخاصة بكل مجتمع هي نظام متكامل، يمثل مجموعة من الصفات والقيم الخلقية والاجتماعية، وهي تنظم الملامح المادية والمعنوية للنظام الاجتماعي.

- أن الكرم/ الجود / وقرى الضيف ملمح مهم في ثقافة العرب، وهي قيم تمثل عصب حياة العرب القدماء الذين يعيشون في الصحراء.
- من أهم هذه الأنساق الشائعة في البيئة العربية أنهم يحترمون الجوار، وحماية الجار.
- أن العرب كانوا ينأون بأنفسهم عن كل شيء يجلب لهم الهجاء والمذمة، ويبتعدون عن كل ما يحط من قدرهم؛ فكانوا يترفعون عن الصغائر.

المراجع

- جقريف فاروق: اشتغال الأنساق الثقافية في رواية حوبه ورحلة البحث عن المهدى المنتظر لعز الدين جلاوجي، جامعة الحلفة، الجزائر، المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 15 عدد 2، 2023م.
- حسني عبد الجليل، المواقف الإنسانية في الشعر الجاهلي (الالتزام الاغتراب التمرد)، دار الوفاء، 2008م.
- حسين بوحسون: نسق الفحولة في رواية وادي الخبا للروائية جميلة طلباوي، مجلة الاستهلال، مجموعة البحث في السرد العربي البنيات والأبعاد، المغرب، عدد 22، 2019م.
- حفناوي بعلى: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت .لبنان، ط1، 2007م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط1، 2008م.
- سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، مراجعة وتعليق: سمير الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م.
- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، ط 28.
- صلاح قنصوه: تمارين في النقد الثقافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الفكر، مكتبة الأسرة القاهرة،ط1، 2001 م0
- عبد الفتاح كليطو: المقامات (السرد والأنساق الثقافية)، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط 2002.
- عبد الله الغذامى: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط 5 ،2005م.
- عبد الله الغذامي، وعبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر دمشق، 2004م.
- غازى طليمان، عرفان الأشقر: الأدب الجاهلي قضاياه، أغراضه، وأعلامه، وفنونه،

دار الإرشاد بحمص، دمشق، ط1.،1992.

- فريال بن جدو، النسق المضمر في قصيدة المدح: قراءة في كافوريات المتنبي، مجلة اللغة العربية، العدد 4، 2022م.
- أبو الفضل الميداني: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت. لبنان.
- مالك بن نبي: مشكلات الحضارة مشكلة الثقافة، دار الفكر المعاصر، بيروت. لبنان، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط4، 2000م.
- محمد جواد القاسمي: نظرية الثقافة، تر: حيدر نجف، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الدراسات الحضارية، بيروت، ط1، 2008م.
- محمد صالح الشنطي: فن التحرير العربي ضوابطه و أنماطه، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، السعودية، ط5، 2001م.
- محمد عبد المطلب، القراءة الثقافية، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2013م.
- المرزوقي: أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.
- ابن منظور المصري: لسان العرب، ط دار المعارف المصرية، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دون رقم أو تاريخ، ج4، دار صادر، بيروت، ط 1997.
- يوسف خليف، بلا تاريخ الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي القاهرة. مصر، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، ط1.
- يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي (الشعر الجاهلي أنموذجًا)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ط1، 2004.
- يوسف عليمات، النسق الثقافي (قراءة في انساق الشعر العربي القديم)، عالم الكتاب الحديث، عمان، ط1، 2009م.